# رمضان في التراث المصري
# في عصر سلاطين المماليك

أ. د. حسنين محمد ربيع(*)

احتفل سلاطين المماليك بشهر رمضان احتفالاً كبيرًا يتفق ومكانته الدينية عند المسلمين، واحتوت كتب التراث على معلومات كثيرة عن احتفالات السلاطين والأمراء وعامة الناس لهذا الشهر الكريم.

وكان لشهر رمضان بهجة وجلال، فقد كانت تسبقه مقدمات تبشر بمقدمه الذى كان يبعث على البهجة والانشراح بما كان فيه من بذخ ورخاء وخير وفير، فقد كان نظّار الأوقاف منذ شهر شعبان يأخذون فى تنفيذ شروط الواقفين على المساجد من تجديد الحصر، ونظافة المساجدوطلائها، وما يلزم لزيادة الإضاءة فيها، وإعداد القناديل اللازمة لإضاءة المنارات طوال الليل حتي السحور.

وتذكر كتب الحوليات التاريخية عناية السلاطين برؤية هلال رمضان، فقد كان يخرج قاضى القضاة والقضاة الأربعة، والشهود، ومعهم الشموع لرؤية الهلال، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة، وتجارها، ورؤساء الطوائف والصناعات والشُعب، وكانوا يشاهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين؛ لوقوعها أمام مدرسة الصالح نجم الدين، فإذا تحققوا من رؤيته أُضيئت الأنوار على الدكاكين، وخرج قاضى القضاة فى موكبه تحفُّ به الفوانيس بالشموع والمشاعل حتى يصل إلى داره، ثم تتفرق الطوائف إلى أحيائها معلنين الصيام.

ولم تكن الأقاليم أقل عناية من العواصم بالاحتفال برؤيا هلال رمضان ، فقد شاهد الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٧ هـ - ١٣٢٧م الاحتفال برؤيا رمضان فى مدينة أبيار ووصفه بقوله: «... ولقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجى الشافعى، وحضرت عنده يوم الركبة، وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان، وعادتهم فيه أن يجتمع فقراء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان بدار القاضي، ويقف على الباب نقيب المتعممين، وهو ذو شارة وهيئة حسنة لاستقبال الوافدين، فإذا أتى أحد الفقهاء أو الأعيان تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه مقدمًا إياه قائلا؛ «بسم الله سيدنا». فيسمع القاضى ومن معه، فيقومون له، ويجلسه النقيب فى الموضع اللائق به، فإذا تكاملوا هناك ركب القاضى وركبوا معه، وتبعهم جميع من

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى ونائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق.

فى المدينة من الرجال والنساء، والصبيان، حتى يصلوا إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال، فإذا ما رأوه يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع، ويصل الناس مع القاضى إلى داره، ثم ينصرفون، وهكذا يفعلون كل سنة».

وهكذا بقية البلاد لا تكاد تخلو واحدة منها من جماعة فرَّغت نفسها بوحي من دينها، لترصد الهلال، وليكون لها شرف رؤيته، وإلى نهاية دولة المماليك والجراكسة كانت تقام حفلات رؤيا هلال رمضان بعد رؤيته من منارة مدرسة المنصور قلاوون كما ذكرنا، وتذكر إحدى الحوليَّات أنه فى سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م بعد أن حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية وحضر المحتسب، وبعد رؤية الهلال سار المحتسب على رأس موكب كبير تتقدمه المشاعل وتحيط به الشموع والفوانيس، وأضيئت الحوانيت فى جميع الشوارع التى سلكها إلى داره، ثم تفرقت الجموع معلنين الصيام.

وفى مستهل الشهر يجلس السلطان فى الميدان تحت القلعة، ويتقدم إليه الخليفة والقضاة الأربعة بالتهنئة، ثم يستعرض أحمال الدقيق والخبز والسكر والغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان، يعرضها عليه المحتسب بعد أن يكون قد استعرضها فى أنحاء القاهرة، وينعم السلطان علي المحتسب وعلي كبار رجال الدولة.

ويذكر أحمد بن علي المقريزي المتوفى عام ١٤٤٢م فى كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بخطط المقريزي، أن سوق الشماعين فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين فى النحاسين كان يحتفل بمقدم هذا الشهر، فتعلق على وجهات الحوانيت وعلى جوانبها أنواع الفوانيس المتخذة من الشمع، وأشكال ما بين كبيرة وصغيرة، ومنها شموع المواكب الكبيرة، ومنها ما يزن عشرة أرطال، ومنها ما يُحمل علي العجلة، ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار، برسم الركوب لصلاة التراويح والخروج ليلاً، فيمر في شهر رمضان من ذلك ما يجل عن الوصف، وتستمر حوانيته مفتوحة إلى منتصف الليل لكثرة ما يُشترى، وما يكترى من الشموع الموكبية، ومن تلك التقاليد نشأت فوانيس رمضان.

وكانت أنواع الياميش تفرش على أبواب البدَّالين يعجُّ بها سوق السكَّرية داخل باب زويلة، فيتسابق الناس إلى الاغتراف منه، وكانت رخيصة السعر فيتمتع بها الغني والفقير، ويوزَّع منها علي أطفال الحارة حينما يطوفون على الدور بفوانيسهم الموقدة محيين أصحابها.

وكانت وكالة قوصون بشارع باب النصر التى شُيدت حوالي سنة ١٣٤٠م. والباقى مدخلها إلى الآن. مقر تجَّار الشام ينزلون فيها ببضائع بلاد الشام من الزيت والصابون والفستق والجوز واللوز والخرنوب، وكانت حركة التجارة فيها مدهشة؛ لكثرة ما فيها من أصناف البضائع وحركة البيع والشراء.

ولمَّا تخرَّبت تلك الوكالة انتقلت تجارة الياميش إلي وكالة مطبخ العسل بالتمبكشية بالجمالية،وكانت مخصصة لبيع أصناف النُقل كالجوز واللوز ونحوهما.

واهتم سلاطين المماليك بالتوسع فى الإحسان والصدقة طيلة رمضان ، فالسلطان برقوق كما ذكر المؤرخ أبو المحاسن ابن تغري بردي فى كتابه «مورد اللطافة»اعتاد أن يذبح طوال سلطنته في كل يوم من أيام رمضان خمسة وعشرين بقرة، يصدِّق بلحومها - مع ما يُطبخ من الطعام، وما يخبز من آلاف الأرغفة - على أهل الجوامع والخوانق والربط والسجون، بحيث يخصّ كل فرد رطل لحم مطبوغ وثلاثة أرغفة، وحاكى السلطان برقوق فى ذلك من أتى بعده من السلاطين، فأكثروا من ذبح الأبقار وتفريق لحومها، أما المساكين والمعدومون فرتَّب لهم سلاطين المماليك في شهر رمضان مطابخ لإفطار الصائمين وتوزيع الصدقات عليهم، وقد بلغ عدد المترددين على هذه المطابخ أيام السلطان بيبرس البندقداري خمسة آلاف نفس في كل يوم من أيام شهر رمضان كما أشار المقريزي فى كتاب «السلوك»، كذلك اعتاد سلاطين المماليك - كما ذكر المقريزي أيضًا - أن يعتق الواحد منهم فى شهر رمضان ثلاثين نسمة؛ أي بعدد أيام الشهر، يضاف إلى ذلك كله أنواع التوسعة على العلماء وأصحاب الجامكيات الذين تصرف لهم رواتب إضافية فى شهر رمضان، وبخاصة السكر الذي تتضاعفت كمية المستهلك منه في هذا السهر بسبب الإكثار من عمل الحلوى، وقد بلغ راتب السكر أيام الناصر محمد في رمضان سنة ٧٤٥ هـ - اعتمادًا على كتاب «خطط المقريزى» - ثلاثة آلاف قنطار قيمتها ثلاثون ألف دينار، منها ستون قنطارًا كل يوم من أيام رمضان برسم الدور السلطانية.

وحاكى أمراء المماليك سلاطينهم في الإكثار من الصدقة والإحسان فى شهر رمضان كما ذكر أستاذنا أ. د. سعيد عاشور فى كتابه «المجتمع المصرى فى عصر المماليك»، من ذلك أن الأمير طشتمر البدرى عُرف عنه حرصه على الإكثار من ذبح البقر والغنم فى ليالي رمضان، كذلك حرص السلطان برقوق على فعل ذلك أيام إمارته قبل أن يصبح سُلطانًا.

وأشار ابن الحاج فى كتابه «المدخل إلى الشرع الشرف» أن عامة الناس كثُرت اجتماعاتهم وزياراتهم فى شهر رمضان. فإذا تخلّف فرد عن زيارة قريبه أو صاحبه أو معلمه فى شهر رمضان أدى ذلك إلي سوء تفاهم بين الطرفين، وعمد كثير من الناس إلى إحياء رمضان فى الجوامع والمساجد بقراءة صحيح البخارى، أو صحيح مسلم، أو بالذكر، أو بالصلاة، ولا سيما صلاة التراويح. وجرت العادة فى عصر المماليك - اعتمادا على كتاب ابن الحاج أيضًا - أنه عند ختم القرآن بأحد المساجد فى شهر رمضان يُحتفل بذلك احتفالا كبيرًا: فتقرأ القصائد، ويجتمع المؤذنون ليكبروا جماعة فى موضع الختمة، ثم يؤتى بفرس أو بغلة ليركبها القارئ الذى تولى قراءة الختمة، ويزفوه إلى بيته فى موكب هائل، وأمامه القراء يقرأون، والمؤذنون يكبرون، والفقراء يذكرون، وربما أضاف بعضهم إلى ذلك ضرب الطبل والدف والأبواق.

واشتملت حجج أوقاف المساجد والمدارس على الكثير من أنواع البر والصدقات فى هذا الشهر، من زيادة مرتبات خدمة المساجد وأئمتها، وتوزيع السكر عليهم وكسوتهم مع كسوة فقيه وعرّيف الكتاب الملحق بهما، وكسوة التلاميذ اليتامى وغيرهم.

وفى المدارس تضاعف كميات الأكل والحلوى للطلبة والأساتذة، وتخُصّص الأموال الكثيرة لشراء قناطير اللحم الضأن والخبز والأرز والعسل والحبوب لطبخها وتوزيعها على الفقراء.

وفى بعض الخوانق والربط اشترط واقفها توزيع الحلوى على قاطنيها كل ليلة جمعة من رمضان ، هذا عدا زيادة المخصصات في رمضان.

وذكر المؤرخ بيبرس الدوادار وابن أيبك والمقريزي وغيرهم من مؤرخي عصر سلاطين المماليك أن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري كان يرتب في أول شهر رمضان بمصر (الفسطاط) والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة، لتوزيعها على الفقراء والمساكين.

وفى دولتي المماليك ذكرت المصادر التاريخية أنه كان يوزع على الفقهاء والعلماء توسعة في شهر رمضان لأولادهم، وكان هناك تقليد طريف وهو إعداد أحمال من السكر والمكسرات ولحم الضأن منذ أول رمضان لتوزيعها على الفقراء فى شهر رمضان تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة، وكانت الدور مفتوحة لاستقبال الوافدين عليها للإفطار، ولا فرق بين غنى وفقير.

وكانت قراءة صحيح البخارى بقلعة الجبل من أهم المظاهر الرسمية لإحياء شهر

رمضان في عصر سلاطين المماليك، وذكر المقريزي فى كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» وأبو المحاسن ابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» أنه جرت العادة أيام السلطان شعبان أن يبتدأ بقراءة البخاري في أول يوم من شهر رمضان بين يدى السلطان، ويحضره طائفة من قضاة القضاة والفقهاء، وظل الأمر على نفس المنوال حتى تولى منصب السلطنة المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، فجعل السلطان المؤيد قراءة البخارى بالقلعة تبدأ من أول شعبان، وتستمر حتي السابع والعشرين من رمضان، وأضاف المقريزي أن السلطان المؤيد شيخ زاد على ذلك بأن دعا لحضور ذلك المجلس جمعًا كبيرًا من مشايخ العلم والطلبة، حتى زاد عددهم على ستين فقيهًا، منح كل واحد منهم ألف درهم فلوسًا.

فإذا تم ختم صحيح البخارى ـ وذلك فى الثلث الأخير من شهر رمضان ـ احتفل السلطان بذلك احتفالاً كبيرًا فى القلعة، فترسل الخلع إلى القضاة والعلماء والفقهاء، وتوزع الأموال على الناس، وفى نهاية دولة المماليك الجراكسة كانت تقام حفلة ختام قراءة البخاري في سرادق كبير فى الحوش السلطاني بالقلعة.

وحفلت كتب التراث بمعلومات وافرة عن المغالاة فى إعداد موائد شهر رمضان، والإفراط فى المرطبات والحلوى وعلى رأسها القطايف والكنافة، وكلاهما مما اختصت به مصر من أقدم العصور ، ويقال إن الكنافة صنعت خصيصًا لسليمان بن عبد الملك كما قيل إنها عملت لمعاوية وكلاهما كان يتسحر منها. وللعلامة جلال الدين السيوطي رسالة ظريفة عنوانها: «منهل اللطايف فى الكنافة والقطايف».

وكانت الكنافة والقطايف موضع مساجلات بين الشعراء، فمن قول علم الرؤساء أبى القاسم عبد الرحمن بن هبة الله المصرى فى القطائف:

وافى الصيام فوافتنا قطائفه        كما تسنمت الكثبان من كثب

وله أيضًا فى القطائف المقلوة:

أهلاً بشهر غدا فيه لنا خلف        أكل القطائف عن شرب ابنة العنب

وللصلاح الصفدي من علماء ومؤرخي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادى:

أتاني صحن من قطائفك التي        غدت وهى روض قد تنبت بالقطر
ولا غرو إن صدقت حلو حديثها        وسكرها يرويه لي عن أبي ذر

ولبرهان الدين القيراطي وكتب بها إلى القاضي نور الدين بن حجر والد القاضي والمؤرخ شهاب الدين أحمد بن على العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م:

مولاي نور الدين ضيفك لم يزل          يروي مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطائفك الكبار حلاوة          بفمي وليس بمنكر صدق القطا

وللشاعر المصرى الجمال أبى الحسن الجزار المتوفى سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م فى عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفى من قصيدة إلى الأمير جمال الدين ابن يغمور:

ما رأت عيني الكنافة إلا          عند بياعها على الدكان

وقوله للوزير شرف الدين الفائزى:

أيا شرف الدين الذى فيض جوده          براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة إننى          لأرجو لها من سحب راحتك القطرا
فعجل به جواد فما لي حاجة          سواه نباتا يثمر الحمد والشكرا

وقوله:

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر          وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبًّا لأوقات المخلل إنها          تمر بلا نفع وتحسب من عمري

وهناك أنواع أخرى من الحلوى اهتم المصريون بأكلها فى شهر رمضان، تصادف أن ارتفعت أثمانها في رمضان سنة ٩١٧هـ/ ١٦٦١م فى عهد السلطان قانصوه الغوري فرفعت شكوى منظومة إلى المحتسب حوت أنواعًا من الحلوى منها:

لقد جاد بالبركات فضل زماننا          بأنواع حلوى نشرها يتضوع
حكتها شفاه الغانيات حلاوة          ألم ترني من طعمها لست أشبع
فلا عيب فيها غير أن محبها          يبدد فيها ماله ويضيع
فكم ست حسن مع أصابع زينب          بها كل ما تهوى النفوس مجمع
وكم كعكة تحكي أساور فضة          وكم عقدة حلت بها البسط أجمع
وكم قد حلا في مصر من قاهرية          كذاك المشبك، وصله ليس يقطع
وفى ثوبه المنفوش جاء برونق          فيا حبذا أنواره حين تسطع
وقد قصرت فى وصف القطايف هائمًا          تراني لأبواب الكنافة أقرع
فيا قاضيًا بالله محتسبًا عسى          ترخص لنا الحلوى نطيب ونرتع

أما عن التسحير، وهو إيقاظ النيام كي يتسحروا ويشربوا قبل فوات الوقت، فيؤثر عن عنبسة بن إسحاق والي مصر فى سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م أنه كان يذهب إلى جامع عمرو ماشيًا من مدينة العسكر، وكان ينادي في طريقه بالسحور.

وكان الأديب ابن نقطة المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م فى عهد السلطان العادل الأيوبي يسحر الناس مناديًا «نياما... قوما قوما للسحور».

وكان المؤذنون يتجاوبون على المنارات بتذكير النيام للسحور فى فترات متفاوتة من الليل بأشعار لطيفة وبأهازيج عامية نذكر منها على سبيل المثال:

أيها النوَّام قوموا للفلاح — واذكرو الله الذى أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولى وراح — وتدانى عسكر الصبح ولاح

اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

معشر الصوَّام يابشراكمو — ربكم بالصوم قد هناكمو

وقد ذكر العالم والفقيه محمد بن الحاج العبدري الفاسي المصري، وكان عالمًا فاضلاً متزمتًا توفي في القاهرة سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م فى عصر السلطان الناصر محمد ابن قلاوون - أنكر ابن الحاج فى كتابه «مدخل الشرع على المذاهب» كثيرًا من التقاليد والعادات التى انتشرت فى مصر فى عهده، وفى نقده لهذه التقاليد والعادات أعطانا فكرة عما كان عليه الحال فى مصر وفى غيرها فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، وعندما تحدث ابن الحاج عن التسحير فى عصره قال: إن المسلمين عرفوا التسحير منذ صدر الإسلام؛ إذ أنهم يعرفون جواز الأكل بأذان بلال ومنعه بأذان ابن مكتوم، ومن رأي ابن الحاج السير على تلك السنة أي أذانان - بشرط تمييز صوت الأول عن الثاني، وبخاصة أنه جرت العادة أن المساجد الجامعة يكون فيها أكثر من مؤذن.

ثم ذكر ابن الحاج أن التسحير فى الديارالمصرية - يقول المؤذن تسحروا كلوا واشربوا ، وما أشبه ذلك، ويقرأون الآية الكريمة ﴿يا أيها الدين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ ويكررونها مرارًا، ثم ينبهونهم إلى الشرب قبل الإمساك بتلاوة الآية الشريفة ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾ إلى قوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾، ثم ينشدون القصائد.

وجرت العادة في القاهرة ومصر (أي الفسطاط) - كما ذكر ابن الحاج - أن يطوف أصحاب الأرباع وغيرهم بالطبلة على البيوت، وهم يضربون عليها، أما أهل الإسكندرية فاعتادوا أن يكون التسحير بدق الأبواب على أصحاب البيوت والمناداة عليهم، ويقال إن بعض العلماء اقترح على السلطان الأشرف برسباي سنة ٧٣٠هـ/ ١٤٢٦م بعدم إطفاء القناديل فى رمضان إلا قبل طلوع الفجر، إيذانا بآخر فرصة للتسحير.

وأنكر ابن الحاج فى كتاب «المدخل» أيضًا تعليق الفوانيس التى جعلوها علمًا على جواز الأكل والشرب ما دامت معلقة علي المنارات، وعلي تحريم ذلك إذا أنزلوها؛ وذلك لأن المنارات كانت تعلق عليها القناديل أي الفوانيس مضاءة حتى السحور، ثم تطفأ إيذانًا بالإمساك.

والحقيقة أن فانوس السحور كان موضع مساجلة بين أدباء وشعراء عصرَي الأيوبيين والمماليك يتبارون فى وصفه بخيال رائق، منها ما ذكره على بن ظافر الأديب المصرى ، والأديب أبو الحجاج يوسف بن على المعروف بالنعجة المتوفى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م وغيرهما من الأدباء والشعراء.

وإذا ما قارب شهر رمضان الانتهاء وحش المسحر الشهر بقوله «لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، لا أوحش الله منك يا شهر القيام، لا أوحش الله منك يا شهر الولائم ،لا أوحش الله منك يا شهر العزائم، لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود».

ولم يكن توحيش رمضان قاصرًا على المسحراتي، بل سبقه فيه المؤذنون والقراء، وأنكر جمال الدين القاسمي التوحيش، وعاب على أحد العلماء وهو يوحش رمضان، وقال: يجب أن يتوجه بالموعظة ويقول:

«عباد الله اشكروا نعمة الله على ما يسَّر لكم من صيام رمضان، وأعطاكم من نعمة الإيمان، فقد أمركم بذلك من بنوره يهتدى المهتدون... وَدِّعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير، والعزم على دوام الجد والتشمير، فقد كان للمتقين روضة وأنسًا، وللغافلين قيدًا وحبسًا، كان نزعة للأبرار، وقيدًا للأشرار، فطوبى لمن حل فيه عقدة الإصرار، وحل فى روضة التقوى فى منزل الافتقار».

وفى أواخر شهر رمضان اعتاد الناس فى عصر سلاطين المماليك عمل الكعك وتوزيعه، وكانت هذه عادة ترجع إلى أيام الدولة الإخشيدية، واستمرت فى عصرَي

الأيوبيين والمماليك، فتذكر كتب التراث أن أبا بكر محمد بن علي المادرائي وزير الدولة الإخشيدية عمل كعكًا حشاه بالدنانير الذهبية أطلقوا عليه اسم (افطن له)، واعتنى الفاطميون بعمل الكعك، وهذه العناية جعلت لمطبخهم وطباخيهم شهرة، وقد بقيت من طباخيهم بقية عملت فى القصور الأيوبية.

وللشاعر المصرى الجمال أبي الحسن الجزار الذى عاش عصر المماليك في السلطان المملوكي قلاوون الألفي أبيات طريفة فى طلب الكعك، منها ما كتبه إلى الأمير جمال الدين ابن يغمور:

أيهذا الأمير قد أشكل المعنى ومازالت عارفًا بالمعاني
ظاهر البستندود لم أدر ماذا فيه حملا وباطن الخشكنانِ
أتراني فى العيد أجهل ذا المعنى كجهل الحلواء فى رمضانِ

واستمرت مصر فى عصر سلاطين المماليك معنية بعمل الكعك وتوزيعه كصدقه على الفقراء؛ حتى لا يحرموا منه، وتنص وثائق الوقف، من ذلك العصر على توزيعه في عيد الفطر على الفقراء واليتامى، ومنها وقفية الأميرة تتر الحجازية، والتى ينص فيها على توزيع الكعك الناعم والخشن على موظفي مدرستها التي أنشأتها سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م.

وأصبح المصريون يتهادونه ويتفاخرون بإجادته ، ويقول محمد بن السعودي الخياط، وكان يسكن درب الأتراك بجوار الأزهر إنه في سنة بضع وستين وسبعمائة، أي فى عصر السلطان الأشرف شعبان جاءه في عيد الفطر من الجيران أطباق كعك على عادة أهل مصر ملأ بها زيرًا كبيرًا، لأن هذا الحي كان يسكن به الأكابر والأعيان.

ولرواج هذا النوع من الحلوى اهتم به تجار الحلوى، وكانت أسواقه رائجة فى عصر سلاطين المماليك، وكان للفن دخل فى صناعته، فعملت له القوالب المنقوشة والمكتوبة، ومنها مجموعة في متحف الفن الإسلامى مكتوب على بعضها: «كل هنيًا»، و«كل واشكر»، «كل واشكر مولاك»، و «بالشكر تدوم النعم».

ولم يقف الاهتمام بالعيد عند عمل الكعك وأصناف الحلوى، بل شمل السمك المملَّح، فقد ذكر سبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م أنه أكل يوم الفطر سمكًا مملحًا.

وكذلك انتقد ابن الحاج في كتابه «المدخل» أهل مصر فى أكلهم السمك المشقوق في عيد الفطر، كما انتقدهم فى أكل الكعك عقب الصيام؛ لأن كليهما ضار عقب الصيام.

هذه لمحات سريعة عن شهر رمضان فى التراث المصرى في عصر سلاطين المماليك.